الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

اليوم خمر :

افتتحت الفرقة المصرية موسمها الحالي يوم السبت الماضي على مسرح الأوبرا الملكية ، برواية « اليوم خمر » للأستاذ محمود تيمور بك ، وقد أخرجها الأستاذ زكي طليمات الدير الفني للفرقة . وهي مسرحية (كوميديه) تصور حياة الشاعر امرىء القيس شابا لاهياً سادراً في لهوه وعبثه نزاعا إلى حياة الطلاقة والتحرر مما يعرض له من الأمور الجسام ، حتى الحب الذي أثقله في النهاية بثلاث نساء ، لم يستطع أن يواجهه فر منه ...

وتمازج عرض تلك الشخصية صور إنسانية وقيم أخلاقية واجتماعية وقضايا فكرية ، تتخلل كل ذلك مفارقات وطرائف أضفت على جو المسرحية روحا فكهة مرحا ، جعلها ملهاة من الأدب الرفيع .

وقد قرأت هذه المسرحية عند ظهورها مطبوعة منذ شهور ، ثم شاهدتها على المسرح ، فلاحظت أن المخرج الأستاذ زكي طليمات تصرف فيها تصرفا غايته الاختصار لطولها ، وتيسير بعض كلماتها توخيا للملاءمة بينها وبين الجمهور ، فقد وضعها المؤلف لتكون اثراً أدبياً يقرأ قبل أي شيء ، وقد جعل أسلوبها قريباً من عصرها ولم يبعد به عن ذوق عصرنا ، ومع هذا كان لا بد من أن يصنع المخرج ما صنع ، وهو مع ذلك لم يمس الأسلوب المتين والتركيب القوي . وقد بذل الأستاذ زكي طليمات من فن الإخراج في هذه المسرحية ما جعل الفن الرفيع يتعاون مع الأدب الرفيع ، وما أظن هذا القول يتعارض مع ما سأتناوله بعد من اللاحظات والمآخذ .

تتكون المسرحية من خمسة مشاهد ، نرى في الأول امرأ القيس وحاشيته من رفاق وخدم عند غدير دارة جلجل ، يلهون ويقصفون ثم توافيهم هناك الجارية الجميلة « أتحوان » حيث تلتقي بامرىء القيس لأول مرة ، وترقص أتحوان قربانا للصنم « هبل » الذي يتوسط المكان ، ثم تأخذ هي وامرؤ القيس في مداعبة ومغازلة تنتهي بغضب أتحوان من امرىء القيس لانصرافه عن تقبيلها إلى إطراء عينيها ثم التوجه إلى مناجاة القمر في السماء ، وتنصرف بعد أن تقول لرفاقه : إن صاحبكم ليتشدق بالطعن والضرب ، آخذاً للحرب أهبتها في كل وقت ، فإن حانت ساعة المراك تبوأ مقعده يرقب السماء ويحصي نجوم الليل . وهكذا تظهره هنيهة فتاجا ليس كمثله مراح ولا نتاج ، كما تقول له .

ثم يقبل سرب من العذارى ، فاصدات غدير دارة جلجل يغترفن ، فيخلون لهن المكان ، ثم يتسلل إليهن امرؤ القيس وحده وقد خلعن ثيابهن — يطفأ نور المسرح في هذه اللحظة — ويجري بينه وبينهن حديث طريف ينتهي بإصراره على ألا يدفع إليهن ثيابهن — وقد استولى عليها — إلا بعد أن يخرجن إليه متجردات .

ثم يقبل الملك حجر وبصحبته فاطمة بنت أخيه ، فيؤنب الوالد ولده على سلوكه ويحاول فاطمة أن تلطف من حدة الموقف وتتبين في أثناء ذلك أن فاطمة فتاة طموح تريد أن تحث امرأ القيس على الأخذ بأسباب المجد ، وهما يتبادلان عبارات الحب والمودة .

وفي المشهد الثاني نرى امرىء القيس في ناحية من سفح جبل دمون باليمن ، يلعب بالشطرنج مع أحد أصحابه ، وبقية رفاقه على مقربة منه يشربون الخمر وأمامهم قينة ترقص . ثم يقبل عامر ابن معاوية عند الملك حجر ، متهجم الوجه ، وينعى إلى امرىء القيس أباه الملك ، فيستمر امرؤ القيس في اللعب غير عابىء بالنبأ ، حتى يتم الدست ... ثم يعلن أن اليوم خمر وغداً أمر ، وينشد :

خليلي ما في اليوم مصحى لشارب ولا في غد إذ ذاك بالكأس نشرب

وتدخل عليه فاطمة وتستحثه على الثأر من بني أسد قتلة أبيه ، فيبدي لها عزمه على المضي في أخذ الثأر . ثم يأخذ في تأمل عينيها وهو يتغزل ، فتصده عنها ، فيثبها حبه ، فتعده بمبادلته الحب بعد أخذ الثأر .

ويمثل المشهد الثالث نرى على المسرح منظراً عجيباً . سحيا متكاثفة تسير في جو البادية ، ونسمع خلال سيرها صوت الأستاذ زكي طليمات يحدثنا حديثاً موجزاً عن حروب امرىء القيس مع بني أسد وانتصاره عليهم وإيقاعه بهم ، وعودته إلى الشرب واللهو

بعد ما نال منهم ما عده ثأراً ، وتحريض ابنة عمه فاطمة له على الاستمرار في حروبهم .

والواقع أن هذا الحديث إجمال لما حدث في فصل حذف من أصل الرواية ، وكان ذلك ، مع منظار السجع اللائم للحوادث ، تجديداً رائعاً في المسرح المصري .

ثم يأتي المشهد الثالث وهو في كهف بشمال اليمن حيث يجلس امرؤ القيس مهموماً ، ينتظر عامر بن معاوية الذي أرسله إلى رؤساء القبائل يستنجد بهم ، بعد أن خزلته قبيلتا بكر وتغلب ولحقته الهزائم ، وتقبل عليه فاطمة ، فيغلظ لها في القول ، ولكنها تحزن لمرآه وتتودد إليه وتعبر عن ندمها على تحريضه حتى أوقعته في هذه الحال ، وتنقلب إزاء تجهمه لها أنثى وديعة محبة مستسلمة ، وما زال به حتى يلين لها ويساعدها على الحب . ويقبل عامر وينهى إليه أن أحداً لم يستجب له ، ثم يشير عليه أن يتوجه إلى الحارث الغساني بالشام ليستعين به ، وهو عدو للنذر الذي أغار بني أسد وأهدر دم امرئ القيس .

ولكن صديقاً لامرئ القيس « عصام » عاد من رحلته التجارية وأقبل عليه في هذا الموقف ، فأشار بالتوجه إلى قيصر بالقسطنطينية ، ويقول فيما يقول لامرئ القيس إنها عروس المدائن وتزخر بالحسان والخمر المعتقة ... ويعلن الرحيل إلى القسطنطينية .

والمشهد الرابع في حانة ميخايلوس بالقسطنطينية حيث نرى أبا زبيبة وحنظلة خادمي امرئ القيس يشربان وينازلان لاريسكا ابنة ميخايلوس وميتورفا الفتاة الخليعة بالحانة . ويظهر لنا من الحديث أن لاريسكا قد أحبت امرأ القيس ، وأن المدينة تردد نبأ العلاقة الجديدة بين الفتى العربي (قيس) وبين ابنة القيصر التي أحبته . ويقبل امرؤ القيس إلى الحانة . وفيما هو ولاريسكا يتبادلان عبارات الحب يقتحم عامر بن معاوية وفاطمة ، فتتصرف لاريسكا وتسمع حديثهم الذي يتضمن أن كسرى مستعد أن ينصر امرأ القيس الذي يتأبى أن يلجأ إلى عدو قيصر بعد وعده المعونة على أمره .

والمشهد الخامس في الحانة أيضاً ، وبينا حنظلة ينازل ميتورفا يقبل امرؤ القيس ، ثم تقبل فاطمة وعامر وعصام ، وتقدم ابنة القيصر لتلوم امرأ القيس على غشيانه هذه الحانة

حديث الأسبوع

□ كان المقرر من قبل أن الدكتور طه حسين بك هو الذي سيستقبل صديقه الأستاذ أحمد حسن الزيات في حفلة الاستقبال العلنية التي ستقام في مجمع فؤاد الأول في الساعة الحادية عشرة من يوم الإثنين المقبل ، ولكن تأخر الدكتور طه في انجلترا لن يمكنه من حضور الحفلة ، ولذلك سيقوم باستقبال الأستاذ الزيات صديقه الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك .

□ وافق مجلس الوزراء على إبرام اتفاق ثقافي بين مصر وبلجيكا ، ومن أهم ما يتضمنه هذا الاتفاق أن تبذل كل من الحكومتين قصارى جهدها لكي تلقي في جامعاتها محاضرات في لغة البلد الآخر وآدابه وتاريخه وغير ذلك مما يتصل به ، وأن تقوم الحكومتان بتسهيل وسائل البحوث العلمية والثقافية التي تجريها جماعة من البلدين

□ عرف الدكتور ابراهيم ناجي الأسلوب بأنه أقصر خط بين قلب الكاتب وقلب القارىء .

□ ينص قانون الإذاعة الجديد على ألا يكون أحد أعضائه عضواً بالبرلمان . ولهذا سقطت عضوية طراف علي باشا وزكي علي باشا والأستاذ عباس محمود العقاد ، وسهل ولاة الأمور الآن على تعيين ثلاثة مكانهم .

□ فاز الأبياشي خليل حسن خليل ، أحد جنود الجيش ، بشهادة (الليسانس) من كلية الحقوق مع درجة جيد ... وهو حدث اجتماعي تعاني يجب أن يعزز ويأخذ مكانه من الاعتبار والتقدير .

□ اعتنقت الأديبة الانجليزية ويليس د . كرامن — الإسلام ، وهي تقول إن الإسلام أضمن طريقة لنشر الأخوة والعدالة الاجتماعية ومنع الحروب في هذا العالم المضطرب .

□ استمعت في « وكر الريف » بالإذاعة ، هذا الأسبوع — إلى تمثيلية عنوانها « صوت الضمير » فجيء لما تضمنته من الأذان لصلاة العيد ... والفلاحون يعرفون جيداً ما يجهله المؤلف والمخرج من أن صلاة العيد لا يؤذن لها .

□ كانت الفرقة المصرية أعلنت بعض المسرحيات التي ستقدمها في هذا الموسم ، ومن بينها « رصاصة في القلب » فلما عاد مؤلفها الأستاذ توفيق الحكيم من باريس وعلم بذلك ، أبلغ الفرقة أن العقد المبرم بينه وبينها لتمثيل هذه الرواية قد انتهت مدته في العام الماضي ، وقد كان الاتفاق أن يقوم بعض الأدوار الهامة ممثلون ممتازون ، فجاء نسبة مئوية من الأرباح تدفع لهم وللمؤلف ، ولكن ذلك لم يتيسر . وترى الفرقة أنه هنا لا يتفق وما تنتظره من معاونة كبار المؤلفين على تأدية رسالتها .

□ تقدم عدد كبير من الطلبة والطالبات في هذا العام إلى المعهد العالي لفن التمثيل العربي ، راغبين الالتحاق به . ومما يذكر أن ثلاثين في المائة منهم حاصلون على شهادات عالية .

□ جاء من روما أن قداسة البابا بيوس الثاني عشر اختار ثلاثة من رجال الدين العرب في الفاتيكان وأن قداسته تقدم في هذه الدراسة وهو يعتبر بلغة في علم العربية .

الوضيعة . ويقف امرؤ القيس بين ثلاث محبات يتنازعنه : فاطمة وابنة القيصر ولاريسكا . وفجأة يدخل صاحب شرطة قيصر يريد القبض على هؤلاء البدو بتهمة التجسس لكسرى . ويتضح أن لاريسكا هي التي أبلغت أمرهم ، لتحول دون رحيل امرىء القيس ويتصدى امرؤ القيس للشرطة ويأبى أن يسلم فاطمة وعامر وصمصاماً ، ويستل سيفه وتدور بينه وبين الشرطة معركة يقضى عليهم فيها ، ويصيح بأهله أن يقفزوا من على سور الحانة إلى البحر ويلحق بهم ، يطلبون في البحر مهربا .

الصورة الواضحة لامرىء القيس في الرواية هي أنه فتى عابث ماجن نفاج لا يعرف الجد ولا يتحمل التبعات ، ولكن امرأ القيس « الشاعر » لا يكاد يوجد فيها . نعم إنه أنشد أقوال بيتين ، وروى خادمه أبو زيبة الأبيات التي مطلعها :

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال

وأنشد بضعة أبيات بالمشهد الثالث . ولكن كان ذلك ضئيلا لايكون للشاعر صورة ، وقد حذف جزء من الفصل الأول كان فيه ينشد أبياتاً ظريفة لمذاري القدير . وكان هذا الجزء يسبيل إلى إبراز صفة الشاعرية . ومن تصرفات امرىء القيس القليلة الدالة على رقة الشاعر وإنسانيته ، موقفه أمام الغزال الذي اصطاده وأسفه على أن صرعه وقوله في ذلك : ألا يستطيع المرء منا أن يأكل دون أن يقتل ؟

ولم يكن تنزله بفاطمة ليلة في أبيه وهي مكتئبة حزينة باكية ولهاجمه في صاحبتها ومجاذبتها على هذه الحال ، مما يتفق والإحساس الدقيق النبيل الذي يتميز به الشاعر ، بل كان هذا الموقف أدنى إلى الحيوانية ، ولا يبرره السكر ، فإن الإحساس الأصيل لا يتغلب عليه شيء . والطبع الفني الرقيق لا يخرجه العبث والمجون من دائرة شاعريه الإنسانية العالية .

والفصل الثالث الذي اضطر المخرج إلى حذفه ، كان يحتوي أمرين مهمين ، أولهما بيان خلة امرىء القيس في حرصه على ألا يضيع حظه من اللهو والشراب طويلاً ، فما إن نال من بني أسد بعض النيل حتى عرج إلى اللهو وإباحة الشراب .

الأمر الثاني تصوير فاطمة وهي تجد في العمل على مواصلة القتال وتحريض امرىء القيس ، وهذا التصوير ضروري لكي يدرك المشاهد روعة انقلابها عند ما أعرض عنها امرؤ القيس وأغلظ لها بأن هذا الانقلاب الشعوري لمسة في أثناء الحوادث يدل على حرص الأنثى على الناحية العاطفية مهما اشتدت وتطلعت إلى المجد . ولم يكن الحديث الموجز الذي نطق به الصوت المسموع كافياً لإبراز ذينك الأمرين .

وفي المشهد الثالث عند ما يئس امرؤ القيس من مساعدة من استجاروا بهم تراه يستغرق في تأملاته وتفكيره استغراق الهارب الذي عرك الحياة وعلمته الشدائد ، فيتحدث عن تغير الأصدقاء ، وعن قيمة الحياة وهل هي المتعة بإشباع البطن وقضاء الشهوة يستوي في ذلك الإنسان وغيره من الحيوان ، أولها أهداف ومقاصد يسعى إليها كل ذي عقل ورشد ، ويتحدث عن القدر وموقف الإنسان منه حتى ينتهي إلى أن القدر لا يستطاع دفعه ولكن للانسان تبعته وتصيبه ، فالأقدار يد تدفع ولكن إرادة الإنسان تغالب .

وقد كان هذا الموقف يثقل على المشاهدين لولا ما تخلله من مفاكهات الخادمين حنظلة وأبي زيبة ، فالأول يرى أن للقدر هو كل شيء فقد رمى الوعل بأسهم عشرات فما أصابت منه مقتلاً ، وشاء القدر أن يرتطم في حفرة فناله بلا كد ولا عناء . ويرى الثاني أن الإنسان إن لم تكن له إرادة لم يتيسر له مطلب ، كيف استمتاعك بالمرأة إذا لم تسع جاهداً حتى يتبدل عسرها يسراً ويعود جماحها ميلاً وانطلاقاً ؟

وهكذا ترى تلك الأفكار تساق في مساق طريف يندى جفافها على المشاهدين . ولكن في بعض الفترات خلا امرؤ القيس إلى نفسه وأطال في المناجاة حتى أمل ، وحدث ذلك مرتين ، أنهى الأولى دخول حنظلة ، وأنقذ الجمهور في الثانية قدوم صمصام .

وقد كانت الخاتمة جيدة في أمرين ، ومضحكة في أمر آخر ، فقد كان رائعاً ألا يتخلى امرؤ القيس عن أهله ويقف بالسيف دونهم على رغم إغراء البيئة التي أغرق فيها . أما القفز إلى البحر والهرب فيه مجاهرة من قيصر وشرطته ، فلا أستطيع أن أتصور عجز الحكومة القيصرية عن اللحاق بأربعة من البدو متهمين بالتجسس للعدو ، يقلعون من شاطىء القسطنطينية أمام الأبصار .

وجهد الأستاذ زكي طليمات في إخراج الرواية ، بارز عظيم ، وقد جسم الجو البدوي الملائم للحوادث على المسرح ، ووفق في